

الأرقم فتح الرحمن

*Tren*  
DING

رواية  
لاند فلور

L. A. N. D. F. L. O. R

---

# «لاند فلور»

رواية

الأرقم فتح الرحمن

---

«إهداء.. لكل مَنْ دعمني»

---

«إن المنتصر لا يُعد منتصراً، حتى يعترف المهزوم بهزيمته.»  
هذا هو القانون الذي تعلمته في أرض فلور...

## هانى

اسمى هانى وجدى، أبلغ من العمر عشرين عاماً وأسكن في قرية ريفية صغيرة قرب المدينة. أعمل كباحث في علم الآثار. تخرجت قبل سنة من الجامعة، وكنت أول من ينجح في قريتي. السبب في ذلك أن كل أهالي القرية يظنون أن الدراسة مضيعة للوقت، وكل شباب القرية يعملون في الحقول. إلا أنا، والسبب أن أبي تزوج من أمي، التي كانت تعيش في المدينة المتحضرة المجاورة لقريتنا. أراد أبي أن أعمل مع شباب القرية، لكن أمي رفضت وأصرت على أن أكمل دراستي.

واصلت دراستي وتخرجت باحثاً في علم الآثار. وكعادة الجامعة، كانت سترسل الدفعة المتخرجة إلى خارج البلاد للبحث عن آثار تضاهاي بها الجامعات الأخرى. كان لدي صديق يدعى \*\*حاتم\*\*، واتفقنا أنا وهو على أن نخطر ونذهب إلى أماكن لم يسبق لأحد أن ذهب إليها.

كان طموحي أن أكتشف آثاراً تجعلني نبراساً للجامعة، أما حاتم فكان هدفه العثور على الآثار وبيعها للمتاحف لجني المال. حددنا موعد الرحلة بعد أسبوع. مرت الأيام كأنها رمشة عين، وجاء يوم الرحلة. ودّعت أمي التي كانت تحتضني وهي تبكي، وودّعت أبي. خرجت متلهفاً للرحلة، وقابلني حاتم في الميناء كما اتفقنا. قضينا الليلة الأولى في الميناء نبحث عن سفينة للإيجار بسعر

زهيد. لم يكن لدينا ما يكفي من المال لاستئجار سفينة فخمة، بحثنا حتى  
المغيب، وكدت أن أفقد الأمل في وجود سفينة.  
إلى أن قابلنا رجل طويل اللحية، كانت لحيته تصل إلى منتصف بطنه، أسمر  
اللون، حاد العينين، قوي البنية. جاء باتجاهنا ووقف أمام حاتم، ثم نظر إليّ  
وقال:

- هل تبحثون عن سفينة؟

أجبتُه وأنا متردد:

- نعم.

قال لنا:

- إذا تعالاً معي.

ذهبنا خلفه دون أن نتفوه بكلمة. ذهب بنا هذا الرجل إلى مكان مظلم بجانب  
الميناء، وتوجهنا إلى سفينة في الجانب المظلم، ويبدو أنها لم تبحر منذ فترة، إلا أنها  
لا بأس بها. همست إلى حاتم وقلت له:

- ليس لدينا القدرة على استئجار هذه السفينة.

أوماً برأسه موافقاً لكلامي، وما أخافني أن هذا الرجل يحمل سلاحاً في خصره.  
وصلنا إلى السفينة. قال لنا:

- هذه هي السفينة.

قلت له بتردد:

- ليس لدينا القدرة على استئجارها.

قال لي:

- هل سألتك عن مال؟

قلت له:

- لا.

قال لي:

- لا تعودا إليّ فارغَيّ اليدين، خذاها.

ثم انصرف.

لم أفهم كلامه، فقال لي حاتم:

- بغض النظر عن طلبه الغريب، لكن وجدنا سفينة.

أومأت له برأسي أوافقته، لكن لم أكن مرتاحاً لهذا الرجل. قال حاتم:

- بعد أن أجد الآثار، سوف أعطيه نصيبه.

## سوفينا

اسمي سوفينا، أبلغ من العمر واحد وعشرين عاماً. تخرجت في علم المحاسبة، لكن كان حلمي أن أدرس الآثار، إلا أن أبي خالفني وأجبرني على دراسة المحاسبة.

قررت أنا وزميلي ماهر أن ننطلق في رحلة استكشافية عن الآثار. ماهر درس الآثار ويكبرني بسنتين، وهو من أسرة ذات نفوذ. قام باستئجار سفينة نفحة وطاقم مكون من اثني عشر رجلاً. بدأت رحلتنا في الأول من مارس، يوم الخميس، كان الجو شبه غائم، وبدأ الرجال في أعمالهم ورفعوا المرساة. تحركت السفينة ببطء، وكانت وجهتنا جزيرة "فلورا" التي تقع جنوب غرب المحيط.

وكنت في السفينة أخدم مثل أي رجل، لأنني تربيت في تعب وشقاء. لم يرغب ماهر في عملي، لكنني لم أتوقف. حل الليل، وأطفأنا جميع المصابيح عدا مصباح القيادة، حيث كان يتناوب رجلان على قيادة السفينة. بعد منتصف الليل، في تمام الساعة الثانية، ارتطمت السفينة بشيء، وكادت أن تنقلب من شدة الارتطام، ركضت نحو الأعلى لأرى ما حدث، وعندما وصلت لم أجد شيئاً، والجو كان هادئاً. توجهت نحو غرفة القيادة وسألت القبطان عن سبب هذا الارتطام، فنظر لي باستغراب وقال:

- ارتطام؟ لم نرتطم بشيء!

رجعت إلى غرفتي وأنا في حيرة من أمري، وجلست على السرير أفكر، بعد مرور نصف ساعة من التفكير، لم أجد مبرراً لما حدث، فأقنعت نفسي أنه كان حلماً ونمت.

في اليوم التالي، نهضت من السرير ببطء وكأني أحمل جبلاً على ظهري. حاولت الصعود إلى السطح حيث يوجد بقية الطاقم، لكنني لم أستطع الوصول وسقطت على الأرض، كنت أتمم باسم ماهر لينقذني، لكنه كان مشغولاً مع العمال. فجأة شعرت بالنعاس ونمت على الأرض.

استيقظت على كف ماهر وهو يمسح على جبينني، فقلت له:

- ماذا حدث؟

فقال لي:

- لقد لاحظت تأخرك، فدخلت غرفتك ووجدتك مستلقية على الأرض.

ثم فجأة أصابني الدوار ونمت تلقائياً.

## هاني

بدأنا رحلتنا، في اليوم التالي، واستأجرنا طاقماً لا يزيد عن سبعة أشخاص.  
قال حاتم:

- إن هذه مخاطرة أن نبحر إلى جزيرة غير معروفة وبسبعة أشخاص.  
قلت:

- نعم، ولكن لا بد أن نذهب.

صاح قبطان السفينة:

- ارفعوا المرساة.

وبدأت السفينة تتحرك ببطء، وبدأ جميع العمال عملهم. لم أكن أعرف الكثير  
عن البحر، لكنني كنت أعد لهم الطعام. لم أكن أريد أن أجلس والجميع  
مشغول.

وقد جلبت معي مذكرة لكي أدون ما سيحدث لنا.

وبعد أن أعددت لهم الطعام، جلست على كرسي من خشب وبدأت أكتب:

"اليوم 7 مارس أبحرت سفينتنا إلى رحلتنا المجهولة. أبحرت أنا ومع صديقي

حاتم وسبعة من البحارة، ولكن كان يشغل بالي الرجل الذي أعطانا السفينة

دون مقابل، وقوله لنا: لا تأتوني خالي الأيدي."

(قطع كتابتي صوت حاتم الذي كان ينادي لي):

- أحضر لنا المزيد من الطعام.

قت وأغلقت دفتري، وتجهت نحو المطبخ لكي أحضر لهم المزيد.  
وبعد انتهاء العمال من الطعام، ذهبت وغسلت الصحون. ثم دخل عليّ أحد  
البحارة وقال لي:

- يبدو أن اليوم سيكون عاصفًا.

ثم أومأت برأسي موافقًا لكلامه وقلت في نفسي: "هل ستتحمل هذه السفينة؟"  
بجأة تذكرت أننا لم نقم بتفحص السفينة قبل الإبحار، ثم ركضت هلعًا وقد  
سقط من يدي الصحن إلى قاع السفينة، أتى خلفي حاتم عندما رأي أنني أركض.  
دخلت إلى القاع ومعني مصباح صغير، وبدأت أبحث عن أي ندبة أو خدش  
قد يؤدي السفينة، بدأت أستشعر جدران السفينة بأنامل أصابعي، ولم أكن  
أرى شيئًا لأن الزيت قرب أن ينفذ من المصباح. وجدت خدوشًا، لكن لا  
أظن أنها سوف تؤذي السفينة. لم أهتم لتلك الخدوش.

سألني حاتم:

- ما بك؟

قلت له:

- لم نتفحص السفينة.

قال:

- وهل وجدت شيئًا؟

أومأت برأسي نافيًا. لم أذكر له الخدوش كي لا يهلع.

ذهبنا أنا وحاتم إلى غرفتنا حيث ننام. أظلمت السماء، وخذت للنوم بسرعة،  
فقد كنت متعباً من أعمال الطبخ.

بجأة، استيقظت من النوم مرعوباً من صوت ارتطام، وكأننا اصطدمنا بشيء  
كاد أن يغرق السفينة. ركضت نحو غرفة القيادة، ثم سألت القبطان:

- ماذا حدث؟

قال لي:

- لم يحدث شيء!

رجعت إلى غرفتي وأنا غارق في فكري:

- ما هذا الشيء الذي ارتطمنا به ولم يلحظه القبطان!

فتحت باب الغرفة، فلاحظت هناك خدشاً مثل الذي في أسفل السفينة.  
جلبت المصباح وأضأت على الخدش وتفاجأت. يبدو أنها ليست خدوشاً عادية،  
إنها تبدو كأشخاص يركعون إلى وحش، وجوارهم بشر لونهم أسود مقيدين  
بسلاسل، وخلفهم حراس يشبهون الوحش، يحملون خناجر ورماح. وخلفهم بحر  
مرسوم عليه سفينتين.

رغم أنني رجل آثار، إلا أنني لم أفهم شيئاً.

أحسست بأن نور المصباح أزعج حاتم، فأطفأت المصباح وجلست على سريري  
أفكر في النقوش والهزة التي كادت تقلب السفينة. لم أستطع أن أفكر، إذ غلبني  
النعاس ونمت.

## سوفينا

استيقظت في اليوم التالي ووجدت الطاقم كله يقف أمامي قلقاً علي، وعندما استيقظت بدت علي وجوههم الفرح، وأخذوا يسألونني عما حدث. إلا أنني لم أذكر شيئاً عن ما حدث لي، وقد استغربوا من ردة فعلي، إذ لم أتذكر ما حدث لي.

قال ماهر للطاقم:

- اخرجوا، إنها تحتاج بعض الراحة.

صعد الطاقم كله إلى الأعلى ما عدا ماهر.

- سوفينا، هل أنت بخير؟

- بأتّم الحال.

- ماذا حدث لك؟

- حقاً لا أتذكر.

ضمّني برفق، وكانت هذه أول مرة يضمّني إليه. بدت علي آثار النجل، إلا أنني لم أظهرها، وعاملته كأنني لا أهتم لحضنه ودفعته عني وقلت له:

- أريد أن أخذ قسطاً من الراحة.

ابتسم ومسح علي رأسي وقال لي:

- نوماً هنيئاً.

خرج، إلا أنني لم أنم. ظللت أفكر في ضمته لي ومدى الفرح الذي يغمرنني، وتجاهلي له، هل كان تصرفاً خاطئاً أم صحيحاً؟ ظللت أراقب السقف طوال الوقت حتى دخل علي البحار وهو يحمل طعاماً ووضعته وخرج. نهضت من السرير بثقل، وبدأت أكل حتى شعرت بالامتلاء رغم أنني كنت جائعة. تركت الطعام وصعدت إلى السطح، وكان الجو عاصفاً. توقعنا هطول أمطار بسبب وجود كميات هائلة من السحب في الأفق. جلست بمشرفة البحر ولم يخلُ تفكيري من ماهر. وقد صاح إلينا ملاح السفينة قائلاً:

- نحن نقرب من صخرة، انعطفوا بالسفينة ستين درجة. ولكن لم يكن الكابتن يسمعه، فصرخنا للكابتن لكنه لم يكن يسمعنا بسبب قوة الرياح، وحدث ما كنت لا أريده، ارتطمنا بالصخرة وكادت السفينة أن تنقلب. ركض ماهر إلى الأسفل ووجد فجوة كبيرة يدخل منها الماء، وحاول سدها ولكن دون جدوى.

فجأة اهتزت السفينة إثر ارتطام ثانٍ، وسقطت أرضاً. بدأت السفينة تنشق إلى نصفين، وامتلكني الخوف ولم أستطع أن أتحرك. بدأت السفينة بالغرق، وذُعر كل من كان على متنها. كان الأمل الوحيد هو التعلق بأي جزء يطفو من السفينة. حملي ماهر وقفز بي على إحدى حطام السفينة.

اتجهنا نحو قارب الطوارئ، ولكن كانت الصدمة عندما وجدنا الطاقم يتقاتل عليه وأبحروا. وكلما ابتعدوا، ألقوا أحدهم في البحر ليخففوا وزن القارب.

---

التفت نحو الخلف، ففزعت عندما وجدت معظم الطاقم قد غرق. تمنيت لو لم  
نجر قط.

بعد يومين من الإبحار على قطع الخشب أنا وماهر، فقدت وعيي من العطش.  
حاولت أن أشرب من ماء البحر، إلا أن ماهر منعي قائلاً:

- سوف تموتين إذا شربتِ من ماء البحر.

## ماهر

اسمي ماهر، أعمل في مجال الآثار وقد تخرجت من الجامعة، وتعرفت على سوفينا في الجامعة. أحببتها، إلا أنني لم أستطع إخبارها بحبي لها. قررت أن أدعوها إلى رحلتي بعد نهاية الدراسة. بحمد الله أتمت الدراسة، وأخبرتها بتخرجي ورحلتي التي سأدعوها لها، فوافقت على مرافقتي. وجدت أن هذا الوقت هو الأنسب لإخبارها بحبي لها، لكن لم أستطع أن أبوح. كلما استأذنت لإخبارها، لم يستطع لساني النطق إلى أن غادرت.

حضرت السفينة للإبحار، وجهزت الطاقم. بعد خمسة أيام في البحر، سمعنا إنذار الملاح وهو ينادي للقبطان، لكن لم يسمعه القبطان بسبب الرياح، وحدث الأسوأ واصطدمنا بصخرتين. تحطمت السفينة. حملت سوفينا إلى قارب النجاة، لكن وجدته ممتلاً لدرجة القتال. خشيت على سوفينا، فأخذت أقرب قطعة خشب، وتمسكنا بها. بدأت أجدف بيدي في الاتجاه الذي كانت تسير عليه السفينة لمدة يومين. فوق هذا، فقدت سوفينا الوعي من العطش، ولم أعلم ماذا أفعل.

سمعت دقات طبول تأتي من بعيد. أمعنت النظر وغمرني الفرح بعدما أصبح الأمر مستحيلاً. رأيت جزيرة في الأفق وبدأت أصرخ من الفرح. أسرعت في التجديف كي أصل بسرعة. اقتربت من الجزيرة، وعندما أصبح بإمكانني المشي على بداية الشاطئ، حملت سوفينا وركضت بها إلى اليابسة. وضعتها تحت إحدى

الشجيرات، وركضت إلى أقرب عين ماء. نزعت حذائي وملأته بالماء، ثم  
سكبت بعض الماء على وجهه سوفينا على أمل أن تفيق. بالفعل، أفاقت،  
وأسقيتها بعض الماء، لكنها لم تكن واعية تماماً.

جلست معها تحت ظل الشجرة قرابة الثلاث ساعات. بدأت تتكلم وهي تتمم:  
هل من سبيل للعودة؟ ظللت أفكر للحظة، ثم تذكرت أنه سوف تلحقنا سفينتان  
إن لم نعد بعد شهر. قلت لها هذا الكلام. عقت علي كلامي قائلة:  
- كيف سوف يعلمون أننا وصلنا الجزيرة والسفينة غرقت؟

حملت جذع شجرة صغير، وكتبت بالخط العريض: قد وصلنا الجزيرة. أتبع علي  
مجداً: سوف يزول مع الزمن. حملت قطعة من خشب حطام السفينة، وجرحت  
نفسي وسقيت بها الحروف، وقلت: هكذا لن تزول.

نظرت إلى سوفينا في ذهول، وركضت نحوي. مزقت جزءاً من ملابسها  
وربطت به الجرح.

## هاني

استيقظتُ من النوم، اتجهت نحو الحمام لغسل وجهي. أثناء غسل وجهي، لاحظت في انعكاس المرآة على الحائط الخلفي نقوشاً بجانب السطح. تركت غسل وجهي واتجهت نحو النقوش. هذه النقوش ليست كالنقوش التي في أسفل السفينة. مرسوم جزء من أرض نصفها أسود والنصف الآخر أبيض. في الجزء الأسود كان ذلك الوحش الذي رأيته من قبل، وفي الجزء الأبيض أولئك الناس المقيدين، ولكنهم هنا أحرار.

استغربت من هذه النقوش، وأصبحت لدي فضول لفهمها. رسمت النقوش على ورقة وجلست على طاولتي طوال الليل محاولاً تفسير شيء منها، لكن لم أفهم شيئاً. أغلقت الكتاب على صوت حاتم الذي أراد مني أن أعد لهم الطعام. قمت وأعددت الطعام وعدتُ إلى النقوش، أحلّل فيها حتى حلّ الليل ولم أنتبه. خرجت لإعداد العشاء فوجدتهم كلهم قد ناموا، إلا حاتم الذي كان يتأمل في البحر. ذهبت نحوه وجلست قربه وقلت له:

- هل ناموا وهم فارغي البطون؟

نظر إليّ وقال:

- لا، لقد أعددت لهم الطعام. أتيت إليك لكن وجدتك غارقة في بحثك

ولم أرغب في إزعاجك، فأعددت لهم أنا الطعام.

- حسناً، سوف أخلد للنوم.

- تصبح على خير.

أشرفت الشمس ونهضت من غرفتي وغسلت وجهي. أعددت لهم الطعام، لم أرد أن يتكلف حاتم بعمل الطعام مجدداً. بينما كنت أعد الطعام، قطع عملي صراخ الملاح:

- أرى جزيرة من هنا!

ركضنا جميعاً إلى حافة السفينة لنرى الجزيرة، لكن الضباب كان كثيفاً ولم نستطع رؤيتها إلا بعد مدة. احتفل الطاقم كله بظهور الجزيرة، إلا أنني شعرت بشيء غريب لا أعلم ما هو. رست السفينة عند مغيب الشمس على الشاطئ. نزلنا من السفينة واتجهنا نحو الشاطئ. تعثرت بشيء لم أعرف ما هو لأن المكان كان مظلماً. استشعرت بيدي ذلك الشيء، فالتسعت حدقتا عيني عندما وجدته رجلاً ذراعاه مبتورة وجثته متعفنة، كأنه مات قبل وصولنا بأيام. كان هناك أثر نقرة الغربان عليه، وكان هناك مفتاح في عنقه. أخذت المفتاح ولم أخبر باقي الطاقم لكي لا يتراجعوا بعد دخولنا الجزيرة. حملت الجثة وخبأتها بين الأشجار. قلت لهم:

- سوف نبني اليوم في السفينة إلى الصبح ثم نتحرك.

أيدني حاتم في قراري، بينما رفض البعض الجلوس في السفينة وقرروا المبيت في الخارج. تركاهم ينامون في الخارج لأنهم لم يلامسوا اليابسة لمدة أسبوع. وفي منتصف الليل دخل علينا الرجال الذين ناموا في الخارج وهم مرعوبون. أيقظونا من النوم بدخولهم المفاجئ. حاولنا أن نتكلم معهم لكنهم كانوا خائفين لدرجة

أنهم لم يستطيعوا التحدث. لاحظت أن شخصاً قد نقص منهم، نظرت إلى الخارج لكن لم أجده.

فرقنا بينهم لكي لا يربوا بعضهم البعض. وبعد أن هدأ واحد منهم، سألتناه:  
- ماذا حدث؟

قال:

- ظهر لنا بعض من الغيلان.

قال أحد الطاقم:

- غيلان! وبدأ يضحك ومعه الطاقم.

إلى أن سمعت بقية قصته، وبدأ كأنه يتحدث عن النقوش. أشرقت الشمس، وما زالوا في حالة هلع.

نزلت لاستكشاف الجزيرة أنا وحاتم. خطونا بضع خطوات ووجدنا مكتوباً بالخط العريض: "لقد وصلنا" (والغريب في الأمر أنها كتبت بالدماء).  
قلت لحاتم:

- يبدو أن هناك شخصاً غيرنا في الجزيرة.

ومشينا بمحاذاة الضفة النهر مسافة طويلة، ووجدنا طيوراً غريبة الشكل على كومة من الجثث، قال لي حاتم:

- يبدو أن هناك سفينة قد غرقت وجثثها وصلت إلى هنا.

وقررنا أن ندخل داخل الأشجار ونرجع إلى الطاقم.

واصلنا دخولنا في الغابة، ويبدو أن هناك أنواعاً من الحيوانات لم تُكتشف بعد، إلا أن هذه الحيوانات تتجه باتجاه واحد ذهاباً وإياباً. قررت أن أتبعها إلى المكان الذي تذهب إليه.

شاهدت من بعيد أن هناك مبنى في الطرف الآخر من الغابة، وهي تزحف إليه جميع الحيوانات.

وكلما اقتربنا من هذا المبنى، هناك شيء يجبرني على الرجوع كالقوة المغناطيسية أو شيء ما، لكنني واصلت السير.

ومع اقترابي للمبنى، سمعت صوت البوم والطير كأنه يرحب بنا داخل الغابة ويحثنا على مواصلة السير.

وصلنا للمبنى، وأخرجت كتابي لأكتب عن هذه الآثار في الجزيرة المهجورة، ويبدو أن هناك بعض حطام البيوت.

قرر حاتم أن يدخل في هذا البيت. حاولت منعه لكنه أصر، وقلت له: حسناً، سوف أدخل معك.

ومع فتحنا للباب، لاحظت النقوش التي في السفينة، فعرفت أن خلف هذا الباب تنتظرنا مخاطر.

حاولت أن أقف وأحذر حاتم لكن بعد فوات الأوان.

فتح حاتم الباب، فسَطَعَ ضوء من داخل الباب حَجَبَ رؤيتنا، وما إن استعدنا بصرنا، وجدنا أنفسنا في أرض أشجارها قاحلة كأنها هبت عليها نار وأكلت صنفق الشجر.

---

نظرت إلى الخلف على أمل أن أرجع من الباب، لكن الباب قد غلق وبدأ  
يتلاشى الباب والبيت.

حاولت جاهداً فتح الباب في هذه الفترة، لكن بدون جدوى.

## ماهر

قررتُ أنا وسوفينا التعمق والدخول إلى الجزيرة، وكان هناك جبل من الناحية الغربية من الجزيرة، فاتجهنا نحوه. دخلنا الغابة حيث يصعب الرؤية بسبب كثافة الأشجار، واصلنا السير في الغابة. نظرتُ للأعلى كي أتأكد أن الشمس خلفنا ونحن متجهين نحو الغرب. بعد السير لفترة طويلة، شارفنا الوصول للجبل، فقلتُ لسوفينا لنأخذ راحة ونواصل السير، فأومأت برأسها، وكان جبينها يتصبب عرقاً. بدأنا السير نحو الجبل، وكلما اقتربنا منه، كان يبدو وكأنه يبتعد شيئاً فشيئاً. لكن في النهاية وصلنا عند الغروب. وكلما ابتعدنا عنه، ظهرت رؤوس جبال أخرى؛ يبدو أنها سلسلة جبلية متصلة. شعرتُ بالفضول لكي أتعرف على ما يوجد داخل هذه السلسلة.

واصلنا السير حتى التقينا برجل يقود عربة تجرها الأحصنة. اندهشت وقلت:  
- هل يوجد بشر هنا غيرنا؟

أوقفته لكي أطلب منه الماء والطعام.  
رد عليّ وهو مستعجل:

- لا يوجد لدي لا طعام ولا شراب.  
وغادر مبتعداً، لكن أوقفته كلماتي الأخيرة: "إني متجه إلى أرض فلور."

أوقف العربة واتجه نحوي بوجه مرعوب، وقال:

- لا تذكر هذا الاسم هنا، سوف تموت.

قالت له سوفينا التي كانت تتكى على رجلها من التعب:

- أليست هذه جزيرة فلور؟

فأجابنا:

- هل أنتما من خارج هذه الجزيرة؟

قلت:

- نعم، نحن من الخارج.

ضحك وقال:

- هل أنتما مجنونان؟ لا يوجد في العالم غير هذه الجزيرة.

قلت له: "نعم" موافقاً إياه في الرأي، لا أريد أن أغضبه فيمنعنا من الركوب

معه.

قال:

- اربكاً، سوف أشرح لكما كل شيء في الطريق.

ركبنا معه في الخلف، وبدأ يسرد لنا قصة. قال:

- إن هذه أرض الزوج، وداخل سلسلة الجبال توجد أرض واسعة تنقسم

إلى قسمين: نصف للسكان البيض والنصف الآخر للسود، وأنا من

السود. في قديم الزمان، كانت هذه الأرض كلها للسود، ولم يكن للبيض

شيء يُذكر. كنا نعيش في نعيم، لكن البيض كانوا حاقدين علينا لأننا نملك

مساحات شاسعة من الأرض، وكانت لهم قوانينهم ولنا قوانيننا، إذ كان الزواج بين الطرفين ممنوعاً. وكان محصولنا ينتج أضعاف محصولهم. وفي يوم دخل أحد الرجال البيض إلى أراضي السود، وارتكب رذيلة مع إحدى نساء السود، فتم القبض عليه. وكان هناك قانون مشترك بيننا: إذا تم القبض على أحد الطرفين في بلاد الآخر، يتم شنقه. وفي يوم تنفيذ الحكم على الرجل الأبيض، عندما كنت طفلاً، كان القمر ساطعاً والجو هادئاً. كان الهدوء ما قبل العاصفة. حان موعد إعدام الرجل الأبيض، وكان ممنوعاً على الأطفال والرجال العاديين مشاهدة مراسم الشنق، كبار القبيلة فقط. لحسن الحظ، كان أبي من كبار القبيلة. لبس أبي ملابس تدل على أنه من كبار القبيلة وخرج. بعد نصف ساعة، تركت أمي تنام وخرجت خلف أبي، تابعته حتى وصل إلى مكان شنق الرجل. دخل أبي، وقد كنت أراقبه حتى دخل. كان المكان الذي يُقام فيه الشنق مغطى بقماش على شكل دائرة، بحيث يمكنني أن أرى ما يجري.

اجتمع جميع كبار القبيلة، وأتى رجل مفتول العضلات حادق العينين قوي البنية، هذا الرجل الذي كان مسؤولاً عن الشنق. اجتمعوا وتحدثوا فيما بينهم، تمنيت أن أكون قريباً بما يكفي لأسمع ما يقولون. ارتعشت عندما سمعت صوت شخص قادم نحوي، ولم أتمكن من التحرك من شدة الخوف، خفق قلبي بقوة أحسست أن قلبي سوف يخرج من أذني. حتى ظهر لي صديقي كارول، وكان كارول والده أحد كبار القبيلة أيضاً، وسألته بدهشة:

- كارول! ما الذي أتى بك؟

قال:

- الذي أتى بك، أتى بي.

قلت له:

- حسناً أغلق فمك قبل أن يسمعنا كبار القبيلة.

وقد سمعت شد حبل، فعلت أنه سوف تبدأ مراسم الشنق. كنت خائفاً، كأني أنا الذي سوف يُشنق.

بينما ظل الرجل الأبيض مبتسماً ولم تكن عليه ملامح القلق أو الخوف. سألت كارول:

- لماذا هو مبتسم؟

أوماً برأسه بأنه لا يعرف. عدت بالنظر إلى الرجل الأبيض وقد علق في حبل المشنقة وبدأ يرمى بكلام قريب لم أفهمه. ومن العدم ظهرت مخلوقات لها عيون جوفاء طويلة القرون وأسنان حادة، وبدأت هذه المخلوقات تقتل كبار القبيلة،

بطريقة بشعة، كانت تمسك العنق وتفصله عن الرأس، وتأكل العينين فقط وتترك بقية الجسد.

بدأت أمشي ببطء لكي لا ينتبهوا إلي، وركضت كارول ظناً منه أنه سوف ينجو، وركضت خلفه هذه المخلوقات، وفعلت معه كما فعلت بي كبار القبيلة، ولم أكن أصدر أي صوت ووقفت ولم أستطع التحرك. التفتت جهة القبيلة للهرب، فوجدت أحد هذه المخلوقات يقف أمامي مباشرة، لم أتحرك، وظل يشتم فيّ، ثم ذهب. نظرت نظرة خاطفة للرجل الأبيض وكان معه أحد هذه المخلوقات، اتسعت حدقتا عيني عندما فكك هذا المخلوق أسره وتذكرت الترهيمات وكل ما قاله وابتسامته الماكرة.

ويبدو أن هذه المخلوقات لا تهاجم إلا الشيء الذي يتحرك. نزل الرجل من منصة الشنق، ونظر إليّ، قلت في نفسي سوف يحرض هذه المخلوقات لفصل رأسي وأكل عينيّ، إلى أنه تحرك من مكانه ونظر إليّ، ثم اختفى ومعه المخلوقات، علمت أنه تركني على قيد الحياة لكي أندر القبيلة. بدأت أجرى تجاه القرية ممتلئاً من الخوف، وكل مرة أتعثر وأقع على الأرض، إلى أن ذهبت إلى النهر الشرقي من القبيلة، وغسلت جسми من آثار الدماء، وذهبت إلى القرية ودخلت المنزل ووجدت أمي في انتظاري، وهي قلقة، قامت بي واحتضنتني، وقالت لي:

- إلى أين ذهبت؟

لم أستطع إخبارها بأن أبي قد قُتل ومعه كبار القرية، وقلت لها كاذباً:

- اتفقنا وأصدقائي أن نلتقي في الحقل ونلعب في الليل.

قالت لي:

- لو علم بذلك والدك سوف يعاقبك.

أنزلت رأسي عندما قالت هذا الكلام، وقالت لي ما بك، توجهت نحو النافذة ودموعي تسيل، قلت لها:

- لا شيء..

ثم ركضت إلى غرفتي وأغلقت الباب.

لم أهنأ هذه الليلة بالنوم، ظللت أفكر في الرجل الأبيض وترهيماته وابتسامته والنقوش التي على جبهته، والمخلوقات، وقتل أبي، وجميع كبار القبيلة، ولماذا تركني الرجل الأبيض على قيد الحياة، ومن أين ظهرت هذه المخلوقات. قررت أن أذهب إلى شيخ القرية، وكانت غرفتي تطل على زقاق يخرجني بالشارع. قفزت من النافذة واتجهت نحو الإسطبل وأخذت أحد الأحصنة وضربته لكي يمشي، وكان الطريق طويلاً، ولم أكن أعرف قيادة الأحصنة، في كل منحدر سقطت من فوقه، وبهذه الحالة إلى أن وصلت بداية الجبل، نزلت منه، وكان عليّ أن أتسلق، عقدت الحصان بصخرة كبيرة في أسفل الجبل، وبدأت أتسلق الجبل، لم يكن عالياً، وصلت إلى بابه بسرعة، طرقت بابه، إلا أن كان بيته بعيداً عن الباب، طرقت بقوة، حتى سمعت صوت أقدام تأتي نحو الباب، أوقفت الطرقة علمت أنه هو قد أتى. فتح الباب وقال لي مستغرباً:

- جون! ماذا أتى بك في هذا الوقت المتأخر؟

لم أخبره بما حصل، بل أعطيته ورقة كنت قد كتبتها في المنزل فيها ترانيم  
الرجل الأبيض الذي قالها.

ثم قلت له:

- ماذا تعني هذه الترانيم؟

أخذ الورقة وأمعن النظر فيها وقد اقشعر جسمه عندما قرأها، وضع يده على  
كتفي وقال لي:

- اتبعني.

ذهبت خلفه إلى كوخ كان في زاوية سور، وبدأ يسأل:

- من أين أتيت بهذه الكلمات؟

لم أجد مبرراً له، فأخبرته بكل شيء، وكان يستمع إليّ بتمعن، ولم يظهر أي  
علامات تعجب، انتهيت من الرواية ثم سألتني:

- هل هنالك أحد يعلم بهذا غيرنا نحن الاثنين؟

قلت له:

- لا لماذا؟

قال:

- كنت أعرف أن هذا سوف يحدث.

قلت له:

- ماذا يحدث؟

توقف هنيهة وبدأ يتكلم:

- إن هذه الكلمات تجعل عفاريت فلور تستجيب لمن يقول هذه الترنيمات،

وكل من تستجيب له العفاريت..

أخذ الشيخ نفساً عميقاً وقال:

- إن أرض الزنج في خطر.

ثم قال لي:

- يجب أن نحذر أهالي الزنج، وقبل أن ينتهي من كلامه كانت الفاجعة،

إذ سمعنا صرخة تقشعر لها الأبدان، خرجت أنا والشيخ يعقوب من منزله،

وكنا في أعلى الجبل.

اتسعت حدقتا عيني عندما وجدت مجموعة من تلك العفاريت وأمامهم ذلك

الرجل الأبيض الذي من المفترض أن يُسْتَنق، جمع حشد من تلك العفاريت،

وبدأ أهالي أرض الزنج بالهلع، وهجمت تلك العفاريت عليهم، وكان أول هجوم

للعفاريت، قرب منزلي الذي يقع في بداية حافة جبل هود، الذي يقع قرب

النهر الجاف، ركضت وكنت ألهث إلى أمي، إلا أن الشيخ أمسك بي وقال لي:

- سوف تُقتل إذا ذهبت.

قلت:

- لا يهمني، أمي هناك وإخوتي سوف يُقتلون.

قام بصنفي في وجهي وقال:

- أجننت، إنهم ماتوا بالفعل، وإذا ذهبت ستُقتل كما ماتوا.  
ومن تلك اللحظة كنت أكن الغضب والحقد للبيض، وكنت أرى الرجل  
الأبيض وهو يضحك، رفع يده وقال بلهجة غريبة لم أفهمها، إلا أن الشيخ  
فهم، وقال لي:

- سوف يتوقف العفاريت عن القتل، نظرت باتجاه القرية، وبالفعل  
توقفت.

وأمر ذلك الرجل الأبيض جميع من بأرض الزنج بالاجتماع، لم نزل من الجبل  
ولكننا كنا ننظر إليهم وهم مجتمعون، قال الرجل الأبيض للزنج بصوت عالٍ:  
- ارْكعوا.

ركعوا جميعاً، وبدأ يتحدث: إن أرض الزنج لن تكون لكم وحدكم بعد الآن، وكل  
ما تحصدونه أتم سوف يأتي إلينا وسنعطيكم نصيبكم، وسنقسم هذه الأرض  
لنصفين. فجأة قام أحد رجال الزنج حاملاً سكيناً كان يجلس في المقدمة  
وركض باتجاه الرجل وكان يريد طعنه، إلا للأسف تم اقتلاع عنقه قبل وصوله.  
قال الرجل الأبيض:

- احفظوا هذا الاسم (لوسيفر).

لن تتمكنوا بعد الآن من إخضاعنا لأوامركم.

ثم صرخ بصوت عالٍ:

- هل فهمتم؟

أوماً للجميع برأسه موافقاً، ثم أعقب قائلاً:

- إن تكاسلتم عن أعمالكم أو اعترضتم على هذه القواعد، انظروا إلى الجثث

الميتة وأشار بإصبعه نحوهم، وقال: "هذا مصيركم."

ومن هنا كانت معاناتنا، وقد عملنا تحتهم كالعبيد إلى هذا اليوم وأصبحوا

يمارسون الرذيلة مع نساءنا، عضضت جفون شفتي وقلت:

- ولا يمكننا منعهم.

وصلنا قرية الذي يعيش فيها جون، وكانت القرية بطرفها الأيمن والأيسر

جبلين، ومن الأمام والخلف سور يخترق هذين الجبلين. وفي بداية السور توجد

بوابة ضخمة، وبطرف البوابة يوجد باب صغير.

اقتربنا من البوابة، وكان هناك رجال لونهم أبيض يقفون أمام البوابة، ويمسكون

بنادق، أنزل جون قبعته من رأسه، ووقفنا أمام الرجلين الأبيضين.

قام أحد الرجال بضربه على رأسه بمؤخرة البندقية، لم أتمالك أعصابي، عندما

رأيت هذا المشهد حملت عصاً كانت توجد بالعربة لأضرب بها الرجل الذي

ضرب جون، ثم أوقفني سوفينا وقالت:

- سوف تسبب مشاكل لجون إن نزلت وضربته.

أمعنت في عينيها، وتركت العصا، وكنت أتنفس بصعوبة من شدة الغضب.

## هاني

تلاشنى مَخْرَجْنَا الوحيد للعودة، وبدأت اللوم يُلقى على حاتم. ابتعد حاتم وبدأ يلقي اللوم عليّ، فقلت له:

- لن يجدي ذلك نفعاً، دعنا نبحث طريقة للعودة.

وأثناء الجدل، سمعت صوت طرق، صمت حاتم وقلت له:

- إني أسمع صوت طرق، كأن أحدهم يقطع في الأشجار.

أنصت حاتم وأوماً برأسه موافقاً لي. اتجهنا إلى الصوت ببطء، وقد رأينا رجلاً لونه أسود يقطع في الأشجار. ذهبنا إليه وألقيت إليه التحية، وفجأة خر راکعاً إلينا.

استغربت من ركوعه، توجهت إليه وجلست بالقرب منه، وقلت له:

- لماذا ترکع؟

نهض على ركبتيه، ونظر إليّ مستغرباً، وقال:

- أليس أنتم من البيض؟

قلت:

- بيض؟!!

وفجأة أشار إليّ أن أصمت، ولا أتحرك. أشرت إليه لماذا، وفجأة أحسست أن

هناك حضوراً مرعباً، مخلوق ليس لديه عينين، يشبه المسخ.

ومن شدة الرعب لم أستطع أن أتحرك بالفعل. ذهب هذا المسخ بعيداً، بعدها  
تكلم الرجل الأسود، وقال لنا:

- هؤلاء عفاريت، لا يرون، لكن يسمعون ويستشعرون بأذانهم،  
ويعتقدون أنهم إذا أكلوا أعين الغير، سوف يبصرون.  
والطريقة الوحيدة لتفادي بطشهم، ألا تتحرك عندما يأتون بالقرب منك.  
سألت الرجل الأسود:

- أين نحن الآن؟

رد قائلاً:

- أرض فلورا (إنها أرض البيض وهم الذين يأمرون العفاريت عندما يرون  
شخصاً منا أسود يتكاسل في أعماله، ولكن أنت رجل أبيض، يفترض أن  
تعرف هذه المخلوقات لأنكم من أتيتم بها).

- نحن كيف؟

- من أين أنتم؟

- نحن من خارج هذه الجزيرة.

أمسك الرجل بفأسه وبدأ يقطع الشجر، وقال:

- عموماً، إن هذه الجزيرة ملك للعفاريت.

وقلت:

- وهل تعرف طريقة الخروج من هذه الجزيرة؟

قال:

- لا، لا أعرف، ولكن هناك شخصاً يعرف.

وسألته متلهفًا:

- من؟

قال:

- سوف أخذكم إليه فور أن أنتهي من عملي، ويجب عليكم العمل معي.

وافقنا على العمل معه. قطعنا معه معظم الأشجار التي فرضت عليه.

ثم قلت له:

- والآن خذنا إليه، وأوماً برأسه موافقًا. خرجنا من الغابة، وكل مرة

نصادف بها عفاريت، نتسمر مكاننا حتى يذهبوا، وبهذه الحالة حتى

التقينا برجل أبيض، فأنزل الرجل الأسود حزمة الحطب، وركع أمامه،

وكان الرجل الأبيض يحمل بقايا طعام ألقاها فوق الأسود وضحك،

توجهت نحو بيتٍ مسرعًا وأزلت من فوقه بقايا الطعام، ولم يتحمل تصرف

الرجل الأبيض، وحمل فأسه وأخذ يضرب في الرجل الأبيض على رأسه

حتى فصله عن جسده، وكان جسم الأسود منتفخ العروق أحمر العينين.

وبعد حينٍ، رجع بيتير إلى حالته الطبيعية. نظر نحو الجثة، وتحول لونه إلى

بنفسجي من الخوف، وأخذ فأسه وبدأ يركض خارج القرية متجهًا نحو الغابة

مجددًا، وكانت الفاجعة عندما رأيت عفاريت من بعيد متجهة نحو بيتير،

وحاولت أن أنبه بيتير، إلا أن بيتير لم يستجب، واصطدم بالعفاريت. نظر بيتير

ليرى بماذا اصطدم، إلا أنه قبل أن يرفع رأسه، فصل رأسه عن جسده،  
وبدأت العفاريت تبحث عن رأس بيتير الذي قذفه بعيداً، وعندما وجدوه،  
بدأوا في خلق المقلتين من مكانهما، وأكلوا فيها. اقشعر جسمي من هذا المشهد.  
وانتظرنا حتى ذهب هذا العفريت، واتجهنا نحو بيتير وحفرت حفرة في الأرض  
بفأسه، ودفنته فيها.

وقال حاتم:

- وأين نتجه الآن؟

أشرت إليه نحو القرية التي كان بيتير في طريقه إليها.  
وحملت حزمة الحطب التي تخص بيتير، واتجهت نحو القرية وأوقفت رجلاً من  
البيض، وسألته:

- أين السوق؟

قال لي مستغرباً:

- أنت رجل من البيض، لماذا تحمل حزمة الحطب؟

ثم نادى أحد الرجال السود، أتى الرجل الأسود مطأطئاً رأسه.  
ضرب الرجل الأبيض الأسود في رأسه، وقال له:

- احمل حزمة الحطب عن هذا الرجل.

يظنون أنني منهم من البيض، رفضت أن يحمل الرجل الحزمة وحملتها أنا، وقلت  
للرجل الأسود:

- أين السوق؟

أرشدني الرجل الأسود للسوق، وشكرته، ووضعت حزمة الحطب وجلست  
منتظراً أحداً لأبيعها له، لكي أجني نقوداً، ولكن كل من يأتي ينظر ويستغرب  
بعثها لرجل أسود، وأخذت منه النقود.  
ذهبنا لاستئجار أحد المنازل، ولكن لم تكن النقود تكفي للإيجار.

اضطررنا للنوم في الطريق، فاقترب منا رجل أسود وقال:  
- هل انقلبت الأحوال! رجال بيض ينامون في الشارع!  
فقت بثقل من التعب وقلت له:  
- أرجوك، من هم البيض ومن هم السود؟ ولماذا السود مظلومون، ولماذا  
يقولون لنا البيض؟  
- أنت من البيض ولا تعرف السبب؟"  
وقفت على قدمي:  
- أنا ليس لي علاقة بالسود ولا البيض، ولا أعرف ماذا يحصل.  
نظر إليّ مستنكراً كلمتي وقال:  
- على أي حال، إذا أردتم أن تناموا الليلة عندي، فاتبعوني. اسمي ماريو.  
أيقظت حاتم، وقلت له:  
- هيا لنذهب.  
لم يسألني حاتم إلى أين، وكان مستيقظاً.

ذهبنا خلفه إلى سفح جبل، بالقرب من غابة صغيرة، وقربها ينبع ماء كأنه جنة. فتح الباب وأدخلنا إلى منزله.

كان هناك كرسيان وسريران. قلت لحاتم:

- يبدو أن هناك اثنين يعيشان هنا.

أجابني ماريو:

- نعم، نعيش هنا أنا وأخي، ولكن أخي قد تأخر اليوم، ليس من عادته.

وسألته:

- أين يعمل أخوك؟

- إنه يعمل حطاباً في الغابة، يقطع الأشجار ويبيعها في السوق، يبدو أن

اليوم لم يجد أحداً يشتري منه.

عرفت أنا وحاتم أن هذا أخوه هو بيتير الذي أكلنا من قبله العفاريت.

وسألته بنبرة خفيفة:

- وهل أخوك اسمه بيتير؟

نظر إليّ باستغراب:

- هل تعرفه؟

أجبتة بحزن:

- نعم، أعرفه وقد ساعدنا.

قال:

- نعم، إن أخي يجب أن يساعد الغرباء.

وقبل أن يكمل حديثه، قلت له:

- لقد مات بيتير.

وفجأة توقفت النافذة عن الارتطام بالجدار وتوقفت الأشجار عن الحركة، وكان الوقت قد توقف عندما أخبرته بموت أخيه. أمسك بي من عنقي وقال، ووجهه منتفخ من الغضب:

- كيف قُتل ... من قتله؟

أجبتُه وأنا ألتقط أنفاسي:

- إنهم العفاريت... إنهم العفاريت.

أفلت عنقي، ونظر في الفراغ وقال:

- وما السبب؟

قلت:

- لقد التقى أحد البيض، فركع له، وقام الرجل بسكب بقايا الطعام فيه، ولم يتحمل هذه المعاملة، وأخذ فأسره وشرط رأسه عن باقي جسمه، وفجأة ظهر العفريت كأنه يعلم أن هذا سوف يحدث. وقطع رأس أخوك، وأكل عينيه.

احمر وجهه وقال:

- لا بد أن نهي هؤلاء البيض.

قلت:

- كيف؟

قال:

- هناك إشاعة تقول: عندما يولد طفل لدى البيض يولد طفل للعفاريت،  
ويأتون بطفل البيض وطفل العفاريت، ويسحبون بعض من شريان  
الطرفين، ويتبادلون الدماء.

سكت ماريو لبرهة وتابع:

- وبعد أن يتبادلوا الدماء، يستشعر الطرفان إذا حصل خطر للطرف  
الآخر، ويذهب إليه لينجده. وهذه هي تقريباً ما حصل لأخي بعد ما  
رأيته.

وطرح وجهه وقال:

- حسناً، لدينا سريران، سأنام أنا على الأرض، وتنامان أنتما على السرير،  
ومن الغد ستعملان معي لتكتسبا عيشكما.  
لاحظت أن هناك غرفة قرب الغرفة التي نجلس بها، وتوجهت نحوها، وقلت  
لماريو:

- هل هذا المطبخ؟

انتفض ماريو من الأرض، وأغلق باب تلك الغرفة وقال:

- لا تقرب هذه الغرفة.

أومأت برأسي إيجاباً، ولكن أخذتني الفضول لمعرفة ما في تلك الغرفة.  
عاد ماريو، واستلقى على الأرض، واستلقيت أنا وحاتم في السرير.

أيقظني صوت خطوات أقدام تتجه نحوي، وقد تسمرت مكاني ظناً أنها العفاريت، ولكن تجاوزني هذا الشيء وفتح الباب الذي أغلقه ماريو. نهضت ببطء نحو الغرفة، لأعرف من هذا. وألقيت نظرة سريعة، ورأيت فتاة حسناء بالداخل لونها مثل البياض، وشعرها مجعد وطويل.

وجأة أحسست أن أحداً يتنفس في أذني من الخلف، وامتألت من الرعب وعندما التفتت للخلف، وجدته حاتم، وقال لي:  
- يا لها من حسناء.

وبدأ ماريو في الكلام مع تلك الفتاة، وسألها عن صحتها. رجعت للفراش وأرجعت معي حاتم الذي رفض أن يرجع من المرة الأولى. وبدأت الأفكار في رأسي تدور، إنها من البيض، أهي مختطفة؟ أم هو أبوها، أم هو يربها؟  
أثقلت الأفكار رأسي ورجعت للنوم.

أيقظني صوت نحيب لشخص يبكي، تجاه غرفة الفتاة الحسنة وألقيت نظرة لحاتم وماريو وهما نيام، قمت ببطء، واتجهت نحو باب الغرفة، وكانت هناك ثغرة في الباب، تسمح لك بالرؤية. نظرت من خلالها، ووجدت هذه الفتاة تحمل صورة بيتر أخ ماريو، فعلمت أن ماريو أخبرها بوفاة أخيه.

عدت للفراش ، وبدأتُ أفكر ، لماذا الظلم على السود؟! هل لأنهم سود،  
ولماذا هذه الفتاة هنا، وإلى الان لم أجد أحد يخبرني سر هذه النقوش.  
أشرفت الشمس ، ووجدت ماريو وحاتم ينتظراني في الخارج للذهاب للعمل.  
بدأت أنا في التناقل ليذهبا، وأدخل أعرف حقيقة هذه الفتاة. إلا أن ماريو لم  
يغادر حتى خرجت من المنزل. ونحن في طريقنا إلى الغابة، انحرف ماريو عن  
الطريق، وقال:

- انتظراني هنا.

أومأت برأسي إيجاباً.

نصف ساعة، هذه المدة التي انتظرنا فيها ماريو حتى يعود. حمل فأسه وقال:

- إذا ظهر عفريت تجرد في مكانكما.

قلت له أنا وحاتم:

- نعم نعم.

- جيد.

بدأنا عملنا، وكان على ماريو منطقة محددة لقطع أشجاره، إذا تجاوزها سوف  
يعاقب أو ربما يموت. وفي المغيب كانت هذه المدة المحددة لوقت ماريو. عدنا  
بالطريق الذي أتينا به، انحرف من طريقه مجدداً، واتجه نحو رجال، وبدأوا  
كأنهم يتجادلون ثم أشار علي بإصبعه وهو يتكلم ونظر الجميع إليّ. قضى نفس  
الوقت الذي قضاه في المرة السابقة وهم يتجادلون. أتى إلينا ماريو وبدأت على  
وجهه آثار الغضب. سألته: ما الذي حدث ولماذا تشيرون إليّ؟

اصطنع ابتسامته المزيفة وقال:

- لا شيء..

تابعنا السير إلى المنزل، وأثناء سيرنا تذكرت أننا لم نلتقِ بعفريت أبداً اليوم.

وسألت ماريو:

- لماذا لم نصادف اليوم عفريتاً؟

- إن العفاريت تكره منطقتي، والسبب أن أشجاري كلها شوكية. ولست أنا

فقط بل معظم الرجال الذين يعملون، يحيطون بداية مناطقهم في الغابة

بأشجار شائكة.

وطوال الطريق ينظرون للرجال البيض باستحقار، لأنني أعيش مع الرجل

الأسود.

وصلنا المنزل، وجلب إلينا ماريو الطعام. أكلت، وخلدت للنوم إلا أنني لم

أستطع النوم، خرجت من المنزل وجلست تحت شجرة قرب المنزل، وكان القمر

في أجمل حالاته، وكانت الشجرة تطل على نافذة تلك الفتاة الحسنة. ولكن لم

أنتبه لذلك، وأخرجت دفثري وظللت أحرق في النقوش، ولاحظت أن هذه

النقوش تشبه طريقة الحياة هنا. وحوش، رجال سود مقيدون، رجال بيض

ممسكون بخناجر... وقد قطع تفكيري صوت طرق من النافذة، التفت اتجاه

الطرق، ووجدت تلك الفتاة الحسنة، توقفت دقات قلبي للحظة عندما أشارت

إلى أن أتيت إليها. توجهت نحوها وكنت قلقاً حتى سمعت صوت ضربات قلبي.

وقفت أمام النافذة مقابلاً لها، أشارت إليّ أن أفتح النافذة، مدت يدي وفتحت النافذة، وظلت تنظر إليّ مطولاً. قلت لها:

- مرحباً.

إلا أنها لم ترد ولم تبدِ أي حركة، ساكنة في مكانها وكأنها تمثال. ظننت أنها صامتة.

اتجهت نحو الشجرة التي كنت جالسا عليها، وتقدمت خطوتين التفت اتجاهها مجدداً، فأشارت إلى أن أعود، غيرت مساري واتجهت نحوها وظللت أبتسم في وجهي، أشارت للكرسي الذي كان قرب النافذة لكي أخرجته عبر النافذة، أخرجته ثم أشارت إلى الشجرة، فعلت أنها تريد أن تجلس تحت الشجرة، وضعت الكرسي تحت الشجرة، ومن دون تردد أدخلت يدي عبر النافذة وحملتها، تغيرت ملامحها المبتسمة إلى نجل، ووضعتها على الكرسي، وجلست أنا على الأرض بقربها. أخرجت ورقة من جيبها، وقلم، وبدأت تعمل على شيء، وكل مرة أحاول أنظر إلى ما تفعله فيه، تغطي الورقة وتضحك. ووقفت عن النظر، وفهمت من تصرفاتها أنها سوف تريني حتى تنتهي. وبعد دقائق، وجهت إلى الورقة، ووجدتها قد رسمتني كما أنا عليه، حتى تعجبت من رسمها، ولوهلة ظننت أنني أنظر إلى مرآة.

نظرت اتجاهها وهي تضحك، أخذت منها القلم وبدأت أرسم فيه إلا أنني لا أجيد الرسم، رسمتها قبيحة، ووجهتها إليها، منتظراً رد فعلها. نظرت إليّ وبدأت

تضحك، وضحكت معها. وأخرجت ورقة أخرى كانت منكوشة، ففردتها،  
وبدأت تكتب:

"اسمي لارا، لا أستطيع التحدث، بسبب صدمة أصابتنى: عندما كنت صغيرة،  
خلاف دار بين أمي وأبي وكنا الاثنين من البيض إلا أنهما لم يجيدا التعامل مع  
بعضهما وكل مرة أبي يضرب أمي عندما كنت صغيرة، وهناك نظرية في أرض  
فلورا تقول أن الطفل الولود يرتبط بالدماء مع العفريت منذ الصغر. ولكن أبي  
كان حاله شاذاً منذ الصغر، أجرى كبار البيض تجربة على أبي، وهي ضخ الكثير  
من دم العفريت في شرايينه، وكانت هذه أسوأ فكرة. إذ أن أبي منذ كان طفلاً  
بدأ بعنصريته، وكاد أن يقتل البعض، وعندما كبر وتزوج أمي، التي لم تكن  
تعرف بهذه الحقائق، بدأت سلسلة الخلافات والاتهامات، وكم مرة حاول قتل  
أمي. وعندما أنجبتني أمي، صار أبي لا يضرب أمي ويتعامل معها بطبيعته. وبعد  
خمس عشرة سنة من إنجابي، كنت على فراشي نائمة إذ سمعت جدالاً في المطبخ  
وبدأت أمشي نحو المطبخ وقد أحسست بشيء غريب، ولفجأة هدأ الصوت  
الذي كان ينبعث من المطبخ، قبل أن أسمع صرخة عالية تأتي من المطبخ،  
ارتعش جسمي ولم أستطع الحركة."

توقفت لارا عن الكتابة لوهلة، وكانت الدموع تجري في وجنتيها، ونظرت إلى  
القمر بعينيها اللامعتين من الدموع، وتابعت:

"مشيت ببطء إلى المطبخ وأنا خائفة، اتسعت حدقتا عيني عندما وجدت رأس  
أمي تحت رجلي قرب الباب وكان أبي يطعن في صدرها وهي ميتة.

رجعت إلى غرفتي، وعلمت أن أبي إذا وجدني بهذه الحالة سيقطنني أنا أيضاً، لذا اتجهت نحو النافذة وقفزت من خلالها وظللت أركض وأهرول حتى سقطت أكثر من مرة، وانهضت وأواصل الركض، ولم أكن أعرف إلى أين أذهب، وأتذكر رأس أمي وأبي يطعن في جثتها، حتى غبت عن الوعي في أحد الطرق. ووجدني بيتر مغشياً عليّ في الطريق وأخذني إلى منزله، واعتنى بي، وعندما استيقظت من النوم، وجدت بيتر قربي يمسح على جيني بقطعة من القماش، انتفضت منه خائفة وقلت له وأنا مدعورة:

- من أنت؟

قال:

- لقد وجدتك في الطريق مغشياً عليك وحملتك إلى منزلي.

مسحت عن رأسي مشاهد أمي وأبي، وبدأت أصرخ كالمجنونة وغبت عن الوعي مرة أخرى.

أفقت من الغيبوبة ووجدت الغرفة خالية، تأملت الغرفة، وحاولت أن أنهض، ولكن الندوب التي تلقيتها أثناء الجري من منزلي منعتني. سمعت طرقاتاً خفيفاً على الباب، غطيت رجلي التي كانت مكشوفة، وقلت:

- تفضل، وما زال الباب يطرق، كأنه لم يسمعي.

فتح الباب، ووجدته بيتر وهو يحمل الطعام، بدأت أكل بشراهة كأني لم أكل من قبل، ووجدته ينظر إليّ وهو يضحك من طريقة تناولي للطعام، احمر وجهي من النجل، توقفت عن الأكل. ونظر إليّ وقال:

- لماذا توقفت؟

قلت له:

- لقد شُبعْتُ.

نظر إليّ مجدداً:

- هل أنتِ لا تستطيعين الكلام؟

صدمت من كلامه، وكنت أعتقد أنني أتكلم ولكنني كنت أتمم فقط، وقد كانت هذه ثاني صدمة لي بعد موت أمي.

أغلقت لارا دفتريها، وقد مسحت دموعها، وبعض الكلمات التي هطلت عليها. وقد تأثرت بموقفها هذا، ظلت لارا تتأمل في القمر، ونظرت إليّ وفتحت دفتريها مجدداً، وكتبت: "أنت لست من البيض، أليس كذلك؟"

أومأت برأسي إيجاباً وسألته:

- كيف عرَفْتَنِي؟

كتبت:

- إنك لست مثلهم.

لم أفهم كلامها ولكنني ابتسمت لها.

نهضت من الكرسي وحملته للعودة. فحملتُ عنها الكرسي وأدخلته عبر النافذة، وحملتها وأدخلتها هي الأخرى.

وقبل أن أغادر، قذفت إليّ بورقة. فتحتها:

- نلتقي غداً في نفس المكان تحت ضوء القمر.

وجهتُ رأسي إليها وأومأتُ برأسي موافقاً.

استيقظتُ كالعادة على صوت ماريو لنذهب للغابة لنحتطب، وكالعادة ينحرف عن الطريق ويذهب إلى أصدقائه، ويأتي غاضباً منهم، ونضحك عليه أنا وحاتم. عدنا من العمل عند الغروب، وكُنْتُ متلهفاً لحلول الليل لمقابلة لارا، وكانت السماء غائمة لا يستطيع القمر أن يكشف ضوءه.

تركتُ حاتم وماريو ينامان وخرجتُ للشجرة التي التقيتُ بها لارا إلا أنني لم أجدها هناك، جلستُ تحت الشجرة منتظراً صوت طرق نافذتها. نظرتُ للنافذة وجدتها مغلقة، انتظرتُ طويلاً، وقررتُ أن أذهب وأترك لها ورقة تحت الشجرة.

وبدأتُ أكتب فيها دليلاً على قدومي.

ومع وُضْعِي القلم على الورقة، سَمِعْتُ الطَّرْقَ، فَتَبَسَّمْتُ قَبْلَ أَنْ أَتَجَّهُ إِلَيْهَا. نهضتُ واتجهتُ نحو النافذة، وجدتها مبتسمة كعادتها.

فتحتُ النافذة ولم تُخْرِجِ الكرسي هذه المرة. وضعتُ الدفتر على التخت قرب النافذة، وصعدتُ في النافذة، وقبل أن تنزل أمسكتُها، وأنزلتها. أخذتُ الدفتر وجلسنا تحت الشجرة.

ومع جلوسنا سَطَعَ ضوء القمر، كأنه كان ينتظرنا.

وأخذ الصمت نصيبه هذه المدة.

إلى أن كتبت لارا في دفترها:

- ما بك اليوم، لا تتكلم؟ إن هناك ورقة سوف أعطيها لك، وبها نقوش لا

أفهمها، هل لديك فكرة عن النقوش؟

أومأت برأسها نفيًا.

فتحتُ الدفتر وكتبت:

- لكن هناك كاهن فوق جبل هود، يعرف النقوش.

تذكرتُ بيتر، قال لي نفس الكلام.

قلتُ لها:

- أين يقع جبل هود؟

أشارت بيدها وقالت:

- في الجانب الآخر من القرية، ولكن جبل هود هو عرين العفاريت، قلّة

فقط من ذهبوا إليه وأتوا سالمين، أو أحيائه على ما أعتقد.

هذا ما كتبتّه.

وقلتُ لنفسي لا بد أن أذهب إليه وإلا لن أعود إلى موطني.

نظرتُ إليها طويلاً، تعجبتُ وكتبتُ بسرعة:

- هل من شيء؟

أخذتُ منها الدفتر، وكتبتُ قرب سؤالها:

- أنتِ جميلة.

---

وأعطيها الدفتر، نظرت إلى ما كتبه، احمر وجهها وغطت وجهها بالدفتر، ثم ضحكت من ردة فعلها.

## سوفينا

ركبَ جون العربة مطأطأاً رأسه، ودخل عبر المدخل الصغير.  
سأله ماهر:

- لماذا لم ترد عليه؟

أمسك جون فم ماهر بسرعة، وقال:

- يستحسن لك أن تصمت لكي لا يسمعونا.

دخلنا لقرية الزنج، ولكن لم يدل اسمها على سكانها، فسكانها كلهم أو معظمهم  
بيض. والبيض يسيطرون على كل شيء.

وعندما دخلنا القرية، توقف جون بالعربة، وقال لنا:

- قد أوصلتكم أرض الزنج، هل تطلبان شيئاً؟

شكرناه ونزلنا من العربة. تمشينا في القرية، وشاهدنا سوء البيض وتعاملهم مع  
السود، ووقاحتهم. وقررت أنا وماهر أن نمكث في قرية الزنج لشهر حتى نعرف  
تقاليدهم. وأول شيء تعلمناه هو أنه ليس لديهم عملة، بل يتعاملون بالمقايضة.  
وبدأنا نبحث عن مكان للمبيت فيه، فوجدنا عدة بيوت مهترئة، وقد قبلت أن  
أمكث بها، إلا أن ماهر لم يُرد أن أمكث في مكان مهترئ. وسألنا أحد الرجال  
البيض عن مكان للمبيت غير مهترئ.

وكان رده مختلفاً، حيث بدأ يتحرش بي لأنني كنت سمراء اللون، إلا أن ماهر لم  
يقبل بهذا، وسدد إليه لكمةً في وجهه حتى سقط أرضاً.

نهض الرجل الأبيض، وتغيرت ملامحه، وانقض على ماهر من عنقه، وخنقه،  
وكاد ماهر أن يُغَمَى عليه. أخذت بسرعة مجرفة كانت في الأرض، وضربت  
الرجل الأبيض في رأسه حتى أتى من الضربة صوت صداء، وكأن المجرفة  
لامست عظامه، وصرع في مكانه، لا نفس ولا حركة، وعلمت أنه قد مات.  
وكانت هذه الضربة المعنى الحقيقي لتوقف الوقت في القرية. ذُهل جميع السود  
من فعلتي! وبدؤوا يركضون في كل مكان وكان صاعقة وقعت عليهم، وهم  
يرددون:

- لن ننجو هذه المرة... لن ننجو.

حملني ماهر على كتفه، وركض بي اتجاه الغابة بين جبلين، ثم أنزلني من على  
كتفه عندما وصلنا أول شجرة في الغابة، وتكلم معي بصوت حاد، لأول مرة  
يتكلم معي هكذا:

- لماذا ضربت الرجل بالمجرفة؟

أشحت نظري للأرض وقلت له بصوت منخفض:

- خفت أن يقتلك أو يحصل لك مكروه.

جلس ماهر على صخرة تبعد خطوات مني، وأمسك رأسه، سكت لبرهة، ثم بدأ  
يتكلم بغضب:

- ألم تسمعي كلام جون؟ سوف يبيدون الزنج الآن عن بكرة أبيهم.

نظرتُ للأرض مرة أخرى وقلت له:

- أنا آسفة.

نهض واتجه نحو شجرة، وأشاح بنظره عني وقال:

- لن يفيدنا الأسف، سوف يقتل ناس بسببنا، لأن البيض ظنوا أنك من السود.

اتجهت نحو الصخرة التي كان ماهر عليها، وبدأت بالبكاء.

اتجه ماهر إلي وربت على شعري، وقال بعد أن تنفس بعمق:

- لا بد أن نخرج من هذه القرية المنحوسة.

وفجأة توقف ماهر عن الكلام، وأمسك بيدي واختبأنا في الأشجار.

سألته بتعجب:

- ما بك؟!!

أشار لي أن أصمت، وبعد فترة تبلغ الخمس دقائق من السكون دخل الغابة

رجلان بيض على أحصنة، وهم يحملون بنادق.

قلت في نفسي: \*هم هنا لأجلنا.\*

توقف الرجلان عن البحث، وبدأ بمغادرة الغابة، إلا أن ماهر لم يغب نظره عن

الرجل الذي كان بالخلف.

بدأ ماهر بفك عقدة حذائه، واتجه نحو الرجل ببطء، وانقض عليه من رقبته

وخنقه بخيطة الحذاء.

بدأ الرجل يطلق النار في الهواء ليرسمه الرجل الآخر الذي كان معه، وبالفعل لاحظ الرجل تنبيهات صديقه، وسدد البندقية نحو ماهر، إلا أنه لم يطلق لأن ماهر كان خلف الرجل الذي انقض عليه.

بدأ الرجل بفقدان وعيه، وألقى البندقية على الأرض، ولم يستطع ماهر رفعها بعد أن أوداه قتيلاً، وأصبح هناك مجال للرجل الثاني في الإطلاق على ماهر. ركضت بسرعة نحو الرجل القليل، وحملت البندقية، وأغمضت عيني وأطلقت النار على الرجل الذي صوب البندقية على ماهر، ولم أكن أعرف هل الطلقة أصابته أم لا.

هدأت الأحوال، وهب نسيم من الأشجار برفق حرك خصلات شعري، ثم فتحت عيني.

قال ماهر وهو يضحك:

- قد صرعته من أول طلقة.

وأتبع قائلاً:

- سوف نحتاج لهذه البنادق للخروج.

أومأت برأسي موافقاً لكلامه.

ولم نلبث قليلاً حتى سمعت صوت حصان يتجه نحو الغابة، اختبأنا خلف الشجر، وأشهر ماهر البندقية اتجاه الصوت.

اقترب الصوت، وبدأ ماهر يتفصّد عرقاً، وكان الجو بارداً.

ظهر صاحب الصوت، إنه جون.

أنزل ماهر البندقية، وخرج عليه، ولم يكن جون يرانا، فناده ماهر.  
التفت جون، وأشهر البندقية اتجاهنا ظناً أنه من البيض.

رفع ماهر يده وقال له:

- أنا ماهر، لا تخف.

أنزل جون البندقية، واتجه نحونا، وتبدو على وجهه آثار الغضب.

رفع يده، وأنزلها على خدي حتى احمر من قوة الصفحة، وبدأ يتكلم وهو يبكي:

- إنها غلطتي، أدخلتكم القرية، وتجرؤون أن تقتلوا أحداً، والآن القرية كلها

سوف تُمسح عن بكرة أبيها.

لم يتابع جون حديثه حتى سمعنا صرخة تقشعر لها الأبدان.

جلس جون على الأرض وضم ركبتيه على صدره، وبدأ يتمتم:

- لقد انتهى كل شيء... لقد انتهى كل شيء.. سوف يبدأ هجوم العفاريت

بعد انتهاء هذه الصرخة.

## جون

بدأت أتذكر ما حدث في الماضي، هذه الصرخة، وقتل السود، ولوسيفر الذي جاء بالعفاريت باستخدام تتمته الغريبة من أرض فلور. نظرة اتجاه القرية، الذعر يملأ القرية، وتراجع البيض في حدود أرض الزنج وحملوا بنادقهم، لكي لا يخرج أحد من السود.  
سألت ماهر:

- لماذا لم يأتوا هنا؟

لم ألبث قليلاً حتى لفت انتباهي جثمان من البيض، اتسعتا حدقتا عيني، وسألت ماهر:

- هل قتلتم هذان الاثنان؟

أوماً ماهر رأسه إجابة.

فقلت لماهر:

- لا بد أن نذهب إلى الشيخ يعقوب في أعلى الجبل ليجد حلاً لهذه

المشكلة.

ترقبت هجوم العفاريت للقرية، ولكنها لم تهجم بعد الصرخة مثل المرة السابقة.

## هاني

صحوْتُ من النوم على نسيم المطر الذي داعب وجهي عبر النافذة، وقد علمت أن اليوم لن نعمل لأن المطر قد هطل. نظرت إلى حاتم وماريو وهما نيام، وقد فكرت أن أذهب إلى لارا، ولكن خفت أن يعرف ماريو، وبعد تفكير قررت ألا أذهب وأخرج نفسي معه، سأنتظر حتى يحل الليل وألتقي بها تحت الشجرة. وقلت مخاطباً نفسي: "لماذا تفكر بها كثيراً؟ لقد قابلتها منذ يومين وسوف ترحل فوراً عندما تذهب إلى قمة جبل هود."

وضعت في رأسي قبعة كانت لماريو، وخرجت تحت المطر. كانت رائحة الأرض جميلة بسبب المطر، والرياح تعصف نحوي، ولكن سمعت صوتاً غريباً يأتي مع الرياح، وكأنه صوت زئير أو صراخ حيوانات، أو شيء من هذا القبيل.

إلى أنني لم أهتم به، ولكن مع مرور الوقت اقتربت هذه الأصوات، وقد رأيت شيئاً كسراب لاح من بعيد في شفق المطر. أمعنت النظر، لم أعرف ما هو هذا الشيء. دخلت للمنزل وأيقظت ماريو. نهض من السرير وهو مغلق نصف عينيه، وسألني:

- ما الأمر؟

أمسكته من يده وقلت له:

- انظر، خرجنا من المنزل.

اصفر وجهه وأصبح شاحباً، جذبني للداخل بسرعة وأغلق الباب. سألته بذهول:

- ما بك؟

قال:

- إنهم العفاريت. إن سكان قرية الزنج فعلوا شيئاً أغضب البيض، ولهذا

العفاريت غضبوا.

اتجهت نحو النافذة وألقيت نظرة للخارج أنا وماريو.

قلت لماريو:

- إنهم يتجمعون.

قال:

- وهذا شيء سيء.

اتجه ماريو للداخل وقال:

- يجب أن نخبر الشيخ يعقوب.

قاطعته:

- الذي يقع في جبل هود؟

نظرتي مستغرباً:

- أتعرفه؟

- لا، ولكن إنه وجهتي القادمة.

وجاءت طرق باب المنزل بقوة، حتى انتفض حاتم من نومه من الطرق.

أشار لي ماريو أن أذهب وأنظر بالنافذة عن الطارق.

ذهبت وألقيتُ نظرة:

- إنه فتى صغير من السود.

ذهب ماريو وفتح الباب، ولكن لم يجد الفتى، وجد ورقة مكتوب عليها:

- يجب أن تأتي إلى ساحة القرية، شيخ القبيلة يعقوب.

وضع ماريو الورقة في جيبه، وارتدى معطفه الرمادي، وقبعته البنية، وحذاءه العالي، وقال:

- يجب أن أذهب للساحة.

اتجه نحو الخزانة وهو يتكلم:

- ستذهب معي يا هاني، وسيبقى حاتم هنا لحراسة البيت.

وددتُ لو أجلس أنا في البيت لمقابلة لارا، لكن أصر ماريو أن أذهب معه.

وأعطاني معطف بني اللون، ووشاح على شكل قبة، وقال لي:

- اجهز، سوف أذهب وأتي إليك.

دخل غرفة لارا، علمت أنه سيخبرها بمغادرته.

خرج من غرفة لارا، وأشار لي بالذهاب.

وكنت قد لبست المعطف والوشاح.

وما إن أنزلت مقبض الباب، فُتح الباب بقوة من شدة الهواء العاصف، وكأن

الهواء لا يريدنا أن نذهب.

بدأنا سيرنا، زلّت رجلي عدة مرات وسقطت، إلا أن ماريو لم تزل رجلاه ولو

مرة واحدة.

وصلنا إلى الساحة وكان الهواء قد توقف عن العصف، ورأيت من بوابة الساحة حشداً من السود مجتمعين وكان هناك شخص طويل القامة، كبير في السن وملتحى، كان يصعد في أعلى أحد المنازل القريبة من الساحة. اقتربت من ماريو وسألته:

- هل هذا الشيخ يعقوب؟

أوماً برأسه إيجاباً.

وعندما دخلت أنا وماريو إلى ذلك الحشد، كان الجميع ينظر إلي ببغض وسخط. اقتربت من ماريو مجدداً:

- لماذا ينظرون لي هكذا؟

قال:

- يظنون أنك من البيض.

وبدون قصد، اصطدمت بي أحد السود، وكان مفتول العضلات. أمسكني من عنقي، وكاد أن يفصل رأسي عن جسدي، لولا تدخل ماريو لكنت قد هلكت.

وبدأت الطبول بالطرق، لنتبه إلى الشيخ.

بدأ الشيخ في الكلام وقال:

- منذ زمن بعيد كانت هذه الأرض لمن؟ نعم، كانت للزنج، حتى أتى اليوم المشؤوم واستحل البيض المعاملة مع العفاريت، وصرنا عبيداً تحتهم.

يقاسموننا أرباحنا، وهم لا يعملون معنا، يمارسون الرذيلة مع نساءنا  
ويجبروننا أن ننظر للمشهد ولا يمكننا فعل شيء.

سكت الشيخ يعقوب هنيئة وتابع:

- ولم يكتفوا بهذا، بل فصلوا أرض الزوج عن فلور. تتذكر جميعاً عندما  
اختفت قرية فلور فجأة بسكانها السود والبيض، عليهم اللعنة. هل تريدون  
أن تعيشوا عيشة الأذلاء وتقبيل أرجل نساء البيض عند كل منعطف  
طريق؟ وتحرموا أطفالكم من اللعب لأن فتیان وفتيات البيض  
يحتقرونهم؟

سكت مرة أخرى وقال:

- إن هناك فتاة من خارج الجزيرة قامت بقتل رجل أبيض في أرض  
الزوج، وإن البيض قرروا أن يبيدوا السود عن بكرة أبيهم.

رفع الشيخ يعقوب يده وقال:

- أنا مع هذه الفتاة وسوف نقتل جميع البيض ونعود إلى مجدنا الذي ضاع  
منا. أنا وجدت طريقة للوصول إلى أرض الزوج، وأستطيع أن أعيد  
أرض الزوج إلى أرض فلور. من كان منكم يريد العيش حراً فليرفع يده،  
ومن أراد الذلّة فليعد إلى زوجته ويجد معها رجلين من البيض يمارسون  
معها الرذيلة ويجبر على المشاهدة.

وفجأة امتلأت الساحة بالهتافات، والكل رفع يده، ولم ينزل أحد يده، حتى أنا رفعت يدي.

نزل الشيخ من البيت الذي كان فيه.  
وكل الحشد بدأ بتقبيل رأسه، نساءً ورجالاً وأطفالاً.  
وبعد فترة، بدأت الساحة بالخلاء من الناس، وكنت أنتظر ماريو الذي كان مع الشيخ طوال الوقت للذهاب. كان مع الشيخ ملابس تدل على السيادة، يبدو أنهم من كبار القرية ومعهم ماريو.  
ما أثار قلقي أن ماريو كان يتكلم مع الشيخ ويشير نحوي، نظر إلى الشيخ وأشار لي أن آتي إليه.

ذهبت إليه وقال لي:

- يبدو أنك لست من البيض.

قلت:

- لا، لست منهم.

بدأ يحرك في شاربه وسأل:

- من أين أتيت؟

- أتيت من خارج الجزيرة، ولا أعرف طريق العودة وأنت قلت تعرف.

- خارج الجزيرة؟

خطوت نحوه وقلت:

- نعم، وأريدك أن ترى شيئاً. أخرجت ورقة النقوش وأعطيتها له.

حدق في الورقة بتمعن، واتسعت حدقتا عينيه، وبدأ يتكلم بصوت مسموع:

- عفريت... رجال سود مقيدون، وخلفهم رجال بيض مسلحون

وسفینتان في بحر.

نظر نحوي وقال:

- أريد أن أتكلم معك.

ذهبنا قرب ركن من السور وقال:

- إن هاتين السفينتين اللتين في البحر صنعنا بعد احتلال أرض الزوج من

قبل البيض. سفينة صنعت في فلورا حيث العفاريت، ومن يركبها ينتهي

به المطاف في فلورا مهما حدث. ولن تجر سفينة دون الأخرى.

قاطعته وقلت له:

- يمكن أن يكون هناك شخص من خارج الجزيرة في الجزيرة الآن.

ابتسم وقال:

- نعم يوجد، شاب يدعى ماهر وفتاة تدعى سوفينا.

- وهل هناك طريقة للخروج من هذه الجزيرة؟

- نعم، وهي قتل البيض إن من يدخل جزيرة الزنج ولم ينفعها ستضره  
الجزيرة بدورها، وأحذرك أنت دخلت الجزيرة ساعدنا في التخلص من  
البيض.

أومات برأسي موافقاً لكلامه.

وقال:

- وأما السفينة الأخرى فهي من صنع الزنج، وكل من يركب عليها سوف  
تأتي به إلى هنا حتى ولو غيرت السفينة مسارها، سوف ترسو بك في  
الجزيرة.

انتهى الشيخ من نقاشه معي، وأشار لما ريو بأنه سوف يذهب، فلاحقت به.  
كنت خلف ماريو بخطوات.

سألني ماريو الذي كان يمشي دون انزلاق:

- ما محتوى الورقة تلك؟

تذكرت أن الشيخ اصطحبني بعيداً عندما رأى الورقة، ولم يردّ أحداً أن يراها،  
فأجبتة كاذباً:

- إنها رسالة، أعطاني إياها رجل بالأمس لأوصلها للشيخ.

نظر ماريو في السماء الممتلئة بالغيوم وسألني مجدداً:

- هل سترحل من الجزيرة؟

أخذت نفساً عميقاً، اختلط برائحة الأرض بعد المطر، وقبل أن أنطق حرفاً،  
فاجأني بسؤال آخر:

- وهل ستدع لارا وحدها؟

نظرت للأرض مجدداً وقلت:

- لا أعرف يا ماريو ماذا أفعل.

قال:

- ظننت أن لارا كانت سعيدة بالعيش معي، ولكن بعد ترقبي لها، أظن

أنها تريد أحداً يؤنسها. وأنا لدي أعمال كثيرة لا أستطيع أن أعطيها

اهتماماً كافياً.

تغير وجه ماريو إلى شحوب بعد هذا الكلام.

وصلنا إلى البيت بعد عدة انزلاقات، وفي كل مرة أنزلت فيها كان ماريو يبتسم

ويضحك. وقد تعودت على المشي، لكنني كنت أسقط نفسي متعمداً.

دخلنا المنزل ووجدناه مقلوباً رأساً على عقب.

سمعنا صوت حاتم وهو يغني في المطبخ، فاتجهنا نحوه. رأينا وجه حاتم مكسواً

بالطحين وكان يشعل النار، يبدو أنه كان يعد الغداء.

ذهبنا أنا وماريو إلى الخارج لكي لا نزعجه، وانفجرنا ضحكاً على حاتم.

دخلنا وجلسنا على الفراش، وأصدر الفراش صوتاً.

نظر حاتم وقال:

- جئتما؟ لقد أعددت الغداء.

كنا ننظر لبعضنا أنا وماريو ونضحك.

وكانت تلك أول ليلة أرى فيها ماريو سعيداً هكذا.

---

لم أستطع أن أنتظر حتى يحل الليل لكي أنام، كنت مرهقاً. أخذت ورقة  
وكتبت عليها: "إلى الغد."  
أعطيتها لحاتم وقلت له:  
- ضعها تحت الشجرة.

أخذها حاتم دون سؤال، يبدو أنه كذلك يعرف أنني أتكلم مع لارا.

## ماهر

حملت بندقيتي واتجهت نحو جون الذي كان خائفاً من سخط البيض عليهم.  
أمسكت وجهه وصفعته عليه.

وقلت:

- لماذا أنتم عبيد لديهم؟ لماذا لا تستردون مجدكم؟ لماذا؟! أم تريد أن تظلوا  
عبيداً كما أنتم؟ هل راق لكم أنهم يمارسون الرذيلة مع نساءكم؟ ويستعبدون  
أولادكم؟

نظر جون إليّ لبضع ثوانٍ، ثم نظر نحو الأرض والدموع تجري من عينيه، وقال  
بصوته المبحوح من البكاء:  
- ماذا نفعل إذا؟

اتجهت نحو سوفينا وأخذت منها البندقية الثانية وقلت له:  
- هذا هو الحل.

نظر جون إليّ مطولاً، ثم نظر للبندقية. مسح دموعه، أخرج ورقة من جيبه  
واتخذ الصخرة مسنداً. كتب فيها عدة سطور وأدخلها في غمد خنجر كان  
بحوزته، وأعطاني إياها.

أشار إلينا جون نحو جبل وقال:

- اتجهوا نحو ذلك الجبل، ستجدون الشيخ يعقوب، أعطياه هذه الورقة  
وأبقيا عنده.

مد يده إلى فمه وأخرج صفارة عالية، وأتى حصانه على الفور. أشار للحصان إلى الجبل وكان الحصان يفهم، واتجه نحونا وأخذ مني البندقية، وقال:

- احذروا من العفاريت.

قلت له:

- وأنت؟

أجاب جون:

- أنا لدي مهمة سريعة.

امتطينا الحصان أنا وسوفينا، ولم أبذل مجهوداً في توجيه الحصان في المنعطفات، وكان الحصان يعرف الوجهة. ولحسن الحظ لم نلتق بأي عفريت إلى أن وصلنا الجبل.

نزلت من الحصان وعقدته بالحبل إلى شجرة، ثم ربتُ على رأسه وبدأنا بالتسلق. لم يكن الجبل عالياً، لكن التقينا بعدة عفاريت، وكل مرة نتسمر في مكاننا، إلى أن وصلت أعلى الجبل، حيث أستطيع المشي.

رأيت كوخاً صغيراً بالقرب من حافة الجبل من الجهة الأخرى.

بدأنا المشي نحوه، ولسوء حظي التقيت عفريتاً، وتسمرنا مكاننا، لكنني كنت أقف على حجر مهشم. فور أن انكسر الحجر تعثرت رجلي، فالتفت العفريت وبدأ يركض خلفي. إلى أن وصلت الحافة التي جئت منها. أخرجت غمد الخنجر وقذفته تجاه سوفينا التي كان وجهها مرعوباً من أن ألتهم.

ظننت أنني لن أعود مجدداً، وبعد وصولي الحافة، قفز العفريت لكي ينقض عليّ، ومع القفزة دخلت تحته ودفعته نحو الهاوية.

نظرت إليه، وجدته قد سقط على صخرة حادة شطرته إلى نصفين.

اتجهت نحو سوفينا التي احتضنتني، فقممت باحتضانها بدوري، واتجهنا نحو الكوخ.

لم يكن في الكوخ باب، فصفقت يداي. خرج من الكوخ شخص كبير في السن وملتحج.

سألته وكنت متأكداً:

- هل أنت الشيخ؟

لم يجبني، بل أشار لي أن أدخل.

دخلنا إلى كوخه، وأخرجت الورقة من الغمد وأعطيتها له. فتح الورقة وبدأ يقرأ.

بعد أن أكمل القراءة، وقف الشيخ يعقوب وقال:

- كنت أنتظر هذا.

أمسك رأس سوفينا وقال لها:

- يا لك من جريئة، قتلت الرجل الأبيض.

فعلبت أن جون كتب عن الحدث.

قال الشيخ:

- وأنتما لستما من أرض الزنوج؟

---

أومأنا برؤوسنا، أنا وسوفينا، إيجاباً.

وقال الشيخ:

- سوف أذهب إلى أرض فلور انتظرا هنا.

خرج الشيخ عبر الباب، ولحقته ولكن لم أجده عندما خرجت. رجعت  
للكوخ وجلست على فراش الشيخ الذي كانت رائحته مثل مسحوق الغسيل.  
سألني سوفينا:

- هل تعرف أين تقع فلور في هذة الجزيرة؟

فهزرتُ رأسي لها نافياً.

## جون

انطلقتُ راكضاً إلى القرية بعد أن فارقت ماهر وسوفينا، ومررتُ برجال بيض عدة مرات وقد استغربوا من عدم انحنائي لهم. اتجهتُ حيث يعيش السود في بيوتهم الرديئة. وبدأت أطرق الأبواب وأترك ورقة معلقة في الباب، مكتوب عليها: "قابلي عند الساحة، الشيخ يعقوب". إذا استخدمت اسمي لن يأتي أحد. وبعد أن طرقت جميع أبواب السود، اتجهت نحو أزقة أبناء الرذيلة، وجمعتهم وقلت لهم:

- إذا أتيتم إلى ساحة القرية، سوف أعطي كل واحد منكم ما يشاء. اضطرت أن أكذب عليهم لكي يأتوا معي، وبالفعل أتوا معي. صعدت فوق أحد المنازل، وانتظرت لكي يأتي الجميع. وبعد دقائق بدأ سكان القرية بالخروج والتجمع فرداً أو جماعة. وكل واحد يأتي يسألني:

- أين الشيخ يعقوب؟

وكنت أكتفي بكلمة: "سيأتي".

إلى أن اجتمعوا جميعاً.

وقفت على قدمي وأشرت إلى قارعي الطبول أن يدقوا الطبول. بدأ قرع الطبول لخمس دقائق، حتى انتبه جميع الناس.

قلت لهم بصوت عالٍ:

- إن الشيخ يعقوب لن يأتي.

استغرب الجميع من كلامي، وقال أحد الرجال:

- إذاً من دعانا؟

رفعت يدي وقلت له:

- أنا.

وبدأت أتكلم معهم:

- كلكم سمعتم بحادثة الشابة التي قتلت الأبيض.

أوماؤا برؤوسهم إيجاباً، فقلت لهم:

- وهل ترضون بقتلها، في حين أن البيض يقتلون منا من يشاؤون ويضربون

من أرادوا ونحن ننظر إليهم، ومجبرين على السكوت؟ لماذا؟ لماذا... لماذا

نعيش عيشة الأذلاء هذه؟ وليس هذا فحسب، بل يأتي رجل أبيض إلى

بيتك ويطلب منك مغادرة منزلك وترك امرأتك معه. هل اعترض أحد

على أبيض في مرة؟ لا، ولن تستطيعوا ما دمتم على هذه الحال.

سكت لبرهة... وقلت في نفسي: "بدأت أنفسهم تتحرك ويصغون بتمعن،

ومعظمهم كان يجز على أسنانه من الغضب."

وقلت لهم:

- سوف يأتي الشيخ يعقوب، وسوف ننتهي من أمر البيض إلى الأبد.

وجعلوا يهتفون، ويبكي معظمهم من الفرح، نساءً على رجال.

وفي هذه اللحظة حدث ما كنت لا أريده.

أت مجموعة من العفاريت متجهة نحونا، مكونة من خمسة عفاريت، لكنهم ليسوا كعادتهم، الهجوم والأكل.

اقتربوا من الساحة ولم يمسوا أحداً بضرر. أتى الخمسة، وسجدوا لي، وكأنهم عرفوا أنهم أخطأوا ويريدون أن يعتذروا. وهدأ المكان فجأة بعد سجودهم، ولم يجرؤ أحد على التحرك في نفس الوقت.

ضحيت بنفسي لكي أعلم هل هم يطلبون العفو أم يخذعوننا. تحركت حركة أصدرت صوتاً، وما زالوا في سجودهم. تحركت حركة أقوى من السابقة، أو ما لي أحد الرجال أن لا أتحرك.

إلا أنني لم أهتم لكلامه، ونزلت من البيت، واتجهت ببطء نحو العفاريت الخمسة. أمسك واحد منهم إحدى رجلي بعد أن شعر أنني اقتربت منه. قلت في نفسي: "هذه النهاية".

ولكنه لم يفعل شيئاً، وبدا كأنه يقبل رجلي، فعرفت أنهم معنا. ناديت بصوت عالٍ للجميع:

- إن العفاريت معنا.

وبدأ الرجال بالتحرك بعد أن رأوني أتحرك.

## ماهر

انتظرنا قدوم الشيخ يعقوب من أرض فلور، لكنه لم يأت. حلّ الليل، وقررنا أن نقضي الليلة في منزله.

أشرفت الشمس وألقيت نظرة على سوفينا، فوجدتها نائمة، خرجت ببطء لكي لا أوقظها من نومها.

اتجهت نحو الحافة، ونظرت باتجاه القرية، وقلت في نفسي: "إنها تبدو جميلة من أعلى الجبل."

أحسست بيد تلامس كتفي، فانتفضت بسرعة، خوفاً أن يكون عفريتاً. ووجدتها سوفينا وقد ضحكت من ردة فعلي. قلت لها:

- فلندخل، إن هذا المكان لا يخلو من العفاريت.

فاندَهَشْتُ عندما دخلنا ووجدت الشيخ يعقوب جالساً على فراشه. فقلت له متعجباً:

- الشيخ يعقوب!!

- نعم؟

- متى أتيت؟

- الآن، ولدي لكما خبر.

جلست بقربه وقلت:

- تفضّل وأخبرنا.

قال:

- اندلعت حرب في فلور، العفاريت والبيض على السّود. ولم يُكَلِّ حديثه، حتى دخل علينا جون، نظر إلى الشيخ وأوماً الشيخ برأسه، لم أعرف ما كانا يقصدانه.

أشار الشيخ إلى جون بالجلوس.

وبدأ الشيخ بحديثه، وبدأ يتكلم وهو ينظر إلى جون:

- نستطيع قتل العفاريت وإبادتهم، وإرجاع مجدنا.

فعلت أنه يقصد الحرب.

ونستطيع إرجاع فلور، هذا الخبر الذي دهش جون.

اقترب جون من الشيخ وقال:

- كيف؟

قال الشيخ:

- هل تذكرون الوشوم التي على رؤوس العفاريت؟

قلت أنا وجون:

- نعم.

قال الشيخ:

- فقط نقوم بطعنهم على هذه الوشوم وستهلك العفاريت.

وأردف قائلاً:

- أما البيض، لن نقتلهم، سنأثر منهم قدر المستطاع لنُذيقهم مرارة العيش.  
قال جون:

- إن معظم جنودنا الأقوياء في فلور.

نهض الشيخ وقال:

- اتبعوني.

قت أنا وسوفينا ولحقنا جون، أخرج الشيخ من جيبه حفنة تراب، وأخرج قنينة فيها بعض من الدماء، وأخرج خنجراً من خصره. ألقى بالتراب على الأرض وسكب فيه الدماء وأمسك الخنجر وجرح يده جرحاً خفيفاً.

ومع أول قطرة دم تسقط في التراب الذي أحضره، بدأت الأرض بالاهتزاز وفتحت بطنها، نظرت داخل الأخدود، ووجدت كماً هائلاً من العفاريت يطاردون سوداً يتجهون نحونا، ولاحظت أن هناك رجلين أحدهما يحمل امرأة على ظهره، وخرجوا جميعاً من هذا الأخدود، ومع خروج آخر شخص من السّود، أنزل الشيخ يعقوب يده إلى التراب الذي خلطه وأخذ الجزء الذي يوجد فيه الدم الذي سكبه، وأغلقت الأرض على الفور، حتى أنها قطعت ذراع عفريت كان يكاد أن يخرج.

نظر الشيخ يعقوب إلى جون وقال له:

- لقد أتينا بالأقوياء.

ابتسم جون واحتضن الشيخ، ثم قال:

---

- سوف نبدأ الحرب، أليس كذلك؟

- لا، لم يحن الوقت بعد.

قال ثالثهم:

- اذهب بهم إلى الجحيم.

تمت بحمد الله

إلى اللقاء في الجزء الثاني